تشويهات في اللغة العربية أحدثتها الترجمة

الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

ان الترجمة الصحيحة عمل شاق لا يعرفه الا من عاناه ، وقليل ما هم! واكثر الترجمات التي تخرج الى الاسواق ترجمات رخيصة تشف عن ضحالة اصحابها وفقرهم وعجزهم عن فهم ما يترجمون ؛ فحسبهم انهم ترجموا الالفاظ كلمة كلمة . اما المعنى العام للنص فلا يهمهم في قليل او كثير .

وقد تاثرت اللغة العربية بكثير من هذه الترجمات فركت وضعفت وغلبت عليها استعمالات تشعر وانت تقراها بالبعد عن الاسلوب العربي الرصين اذ ليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف. وها نحن نورد نماذج منها نقتطفها من هنا وهناك .

« ثار ضد العباسيين » ؛ « شن حرب ابادة ضد » ، « مؤامرة ضد » ؛ « غارة ضد » ، « العداء ضد الاستعمار » ، « معركة ضد الرجعية » ؛ « التلقيح ضد » ، « التامين ضد » ، « مناعة ضد » « المقاومة ضد المرض » ؛ « صدر حكم ضد » « الشكوى ضد » ، « استند ضد الحائط » .

فكلمة « ضد » هنا لا مبرر لها الا انها ترجمة حرفية لكلمة Contre الفرنسية او Against الانكليزية ؛ فاذا كانت كلمة «ضد» ترافق جميع هذه العبارات في الفرنسية او الانكليزية او غيرهما من اللغات الاوربية، فلا يصح ان يكون ذلك سببا لاستعمالها في اللغة العربية ايضا ؛ لاسيما اذا كان هنالك بديل عربي اقوى منها بكثير .

فالعربية السليمة تقضي ان يقال : « ثار على العباسيين » ، « شن حرب ابادة على » ، « مؤامرة على » ، « احتجاج على » ، « العداء للاستعمار » « الكفاح مع الاستعمار » ، « معركة مع الرجعية » ، « التلقيح من الجدري » ، « التامين من المرض » ، « مناعة على » « صدر حكم بحق او على فلان » ، « مقاومة المرض » « مقاومتهم للمرض » ، « الشكوى من الظلم والتعسف » ، « استند الى الحائط » .. الخ ...

ومن الرطانات التي جاءت بها الترجمة ايضا قول بعضهم « يشكل تهديدا للسلام » « يشكل تقدما عظيما » ، « يشكل عنصرا هاما » ، « يؤلف مشكلة خطيرة ».. الخ .. مع ان الاصح ان يقال : « فيه تهديد للسلام » ، « فيه تقدم عظيم » ، « وهو عنصر هام » ، « وهي مشكلة خطيرة » .

وهناك استعمال شائع جدا لا ارتاح اليه تسلل الى لغتنا الحبيبة بتاثر الترجمة ايضا وهو : « لعب دورا هاما في » .

ان اللغة العربية في غنى عن هذا الاستعمال الركيك ولو ان جميع اللغات الاوربية تستعمله ، ففيها عبارات كثيرة تؤدي نفس المعنى بمتانة وقوة وجزالة ؛ ليست للعبارة الفرنجية . منها ان يقال : « كان له شان عظيم » « اضطلع بنصيب كبير في » « اضطلع بمهمة » « قام بـ » .

ومن الاستعمالات الرطنة ايضا هذه العبارة : « كانت هذه الحرب كنتيجة لاغتيال .. » فانا لا ارى ترجمة لهذا الكاف لولا انها ترجمة حرفية لكلمتي Comme الفرنسية او As الانكليزية الضروريتين لتادية هذا المعنى في اغنيهما فقط . كما ان هذه الكاف الركيكة اخذت تحل في لغتنا محل استعمال الحال والمفعول به الثاني والمفعول لاجله .. اقرا هذه العبارات : « ما احسنه كمتكلم ». « ما احسنه ككاتب » ؛ « دخل عليهم كرئيس للبلاد » « فعل هذا كمناواة له »؛ « قال كتعليق على كلامه ». « اعتبر العربية كلغة اساسية » ؛ « عامله كحيوان ». والاصح ان يقال : « ما احسنه متكلما ! » ، « ما احسنه كاتبا ! » ، « دخل عليهم رئيسا للبلاد » . « فعل هذا مناواة له »؛ « قال تعليقا على كلامه »؛ « اعتبرها لغة اساسية » « عامله معاملة الحيوان ».

ومن خصائص اللغة العربية ان ياتي جواب « اذا » في الزمان الماضي ، الا في حالات نادرة قليلة . فيقال مثلا : « اذا جاء زيد جاء عمرو » « اذا امتزج بكذا وكذا حدث كذا » لكن لا يقال : « ... يحدث كذا » . او « يجيء عمرو » . غير اني لاحظت مع الاسف ان هذا الاستعمال الماضي الجميل المناسب لم يعد له وجود تقريبا عند طائفة المترجمين ، لا لشيء الا لان الماضي لا يستعمل في جواب « اذا » si, if في اللغات الاوربية التي يترجم منها.

كذلك نشا في اللغة العربية استعمال رطن خلفته الترجمة وهو تاخير الفاعل وتقديم ضميره عليه مثل ان يقال : « وفي حديثه عن كذا وكذا قال الرئيس كذا » ، « وبعد وصوله الى المدينة استقبل القائد وفود المهنئين » والاصح ان يقال : « والرئيس في حديثه عن كذا وكذا قال كذا » ؛ « وبعد وصول القائد الى المدينة استقبل وفود المهنئين » .

وهناك ايضا استعمال شاع بتاثير الترجمة ايضا وهو اضافة اكثر من مضاف الى مضاف اليه واحد . مثلا « عناية واهتمام الام بطفلها » « ذكاء ومقدرة رجل العلم ، والاصح ان يقال : « وعناية الام بابنها واهتمامها به » « ذكاء رجل العلم ومقدرته » .

وكذلك وردت في احدى الترجمات هذه العبارة التي تعكس شدة الحرص على الترجمة الحرفية والتقيد المستكره بالاصل : « محبة الله نحو بني الانسان » مع ان المبتديء في اللغة العربية يقول : « محبة الله لبني الانسان » . فاذا كانت «نحو» جزءا من التعبير الفرنسي او الانكليزي فهل من الضروري ان تكون كذلك في اللغة العربية ؟ ولكن قاتل الله الترجمة الحرفية التي تعمي عن خصائص اللغة وعبقريتها !

لقد خف استعمال المفعول المطلق في الترجمة وحلت محله ــ حرصا على « امانة » النقل كلمة « بصورة » . « بشكل » . « لدرجة » . « على نحو » فيقال مثلا : « مشيت بصورة جيدة »؛ « سار بشكل حسن » . « ان قامته طويلة لدرجة انها تسد الباب » « ظهر على نحو واضح » . ان هذه الاستعمالات واشباهها تنبو جميعا عن الذوق العربي الاصيل وتجفوه . اذ الاصح ان يقال : « مشيت مشيا جيدا » « سار سيرا حسنا » . « ان قامته طويلة طولا يسد الباب او بحيث تسد الباب » . « ظهر ظهورا واضحا » .

وهناك خطا يقع فيه كثير من المترجمين ايضا . وهو خطا لا يمس الترجمة وحدها . بل هو يمس قواعد اللغة ايضا . وهو التعبير عن المثنى بالجمع انسياقا مع الحرفية . فنرى المترجم يعبر عن المثنى تارة بالتثنية . وتارة يسى ان الحديث يدور عن شيئين فقط فينساق مع النص الفرنسي ويجمع . لانه على ما يظهر في عجلة من امره ويهمه ان يفرغ منه ليستانف نصا آخر . فالعصر عصر السرعة والنص طويل والضمير بعيد ؛ فلا عليه ان يلتزم بالحرفية ولو كان في ذلك تضحية باللغة وقواعده وبسمعته وكرامته لعرض من الدنيا قليل .

وهناك استعمال عجيب غريب اقحم في العربية اقحاما . فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل عند الانتقال من فكرة الى اخرى كلمة Concernant او En ce qui concerne او Au sujet de الخ .. فامثلات اللغة العربية بهذه الكلمات : بخصوص . وفيما يتصل ، وفيما يتعلق ، وبالنسبة الى .. مع ان كلمة « اما » « ومن حيث » اجمل من هذه الاستعمالات الركيكة واقوى واكثر تعبيرا ومتانة. ولم اجد اعجب من الجمع بين « اما » و « فيما يتعلق » كالقول : « اما فيما يتعلق بكذا » فان « فيما يتعلق » هنا مقحمة اقحاما لا معنى له وما كان اجمل هذا التعبير لو قلنا : « اما كذا »

نحن لا ننادي بعدم الاستئناس بالاساليب الغربية ؛ ولكننا نطالب بالحفاظ على خصائص اللغة العربية . فكل هذه الاستعمالات بجانب الذوق العربي والسليقة العربية والاصالة العربية؛ ولقد شاعت في الصحف اولا حيث تترجم برقيات وكالات الانباء حرفيا طلبا للسرعة ورددتها محطات الاذاعة والتلفزيون . ثم عمت في الترجمات الرخيصة التي اقتدت بها . فليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . ولكنها غريبة الدم والمخبر . ان هذه الاستعمالات لا تصدر ولن تصدر عن كاتب عظيم . بل هي لا تصدر الا عن صغار الكتاب والمترجمين . فلم اجد للمازني او العقاد او طه حسين وامثالهم استعمالات ركيكة كهذه . رغم انهم اغنوا الاسلوب العربي كثيرا بالاستعمالات الجديدة دون ان يضحوا بعبقريته واصالته .

ولي ملاحظة احب ان ابديها في هذه المناسبة تتصل بتركيب المصطلح العلمي . فمن المعروف ان اللغة العربية فقيرة جدا في التركيب المزجي . فبينما يستطيع المؤلف في اللغات الاوربية تركيب اي مصطلح بالرجوع الى الاصول اليونانية واللاتينية بمزج الجذور التي يصل اليها بعضها مع بعض نجد اللغة العربية عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون تاما . فنرى المؤلف في اللغة العربية اذا اراد التعبير عن مصطلح علمي ما . اما ان يبحث كلمة جديدة قد لا تؤدي المعنى المطلوب فلا ينعقد عليها الاجماع . واما ان يستعمل جملة طويلة للتعبير عن مصطلح علمي واحد. ولي في هذا المجال اقتراح لا اعلم مدى قيمته لاني اجهل الكثير من ملابساته . فلئن كانت اللغة العربية فقيرة في التركيب المزجي فهي غنية جدا في الاوزان. حتى اصبحت من هذه الناحية مدعاة اعجاب كثير من المستشرقين . وعلى فرض ان هذه الاوزان لا تكفي فيما يرجع الى اللغات الشرقية التي يطلق عليها احيانا اسم اللغات السامية . فنعل فيها اوزانا ليست في اللغة العربية . ولا يقتصر الامر في نظري على هذا . بل يمكن الاستعانة باللغات السامية من ناحية اخرى . رغم كل ما يقال من ان اللغة العربية اغنى منها جميعا . فكما ان الاوروبيين يرجعون الى اصول لاتينية ويونانية ؛ اي الى اصول تتشابه فيها لغة التعبير واللفظ والكتابة لوجود لحمة من النسب او لوجود وحدة عضوية بينها — اذ هي من اروسة واحدة ؛ فكذلك اتساءل بيني وبين نفسي عما اذا كان بمكننا ان نفعل شيئا قريبا من هذا باللغة العربية. فهناك وحدة عضوية بين اللغة العربية وبين كثير من اللغات التي تسمى باللغات السامية . فما المانع ان نرجع اليها في وضع مصطلحاتنا ، ولا ضير في ذلك على اللغة العربية في شيء . بل هو مصدر اغناء لها ؛ كما ان الرجوع الى اللاتينية واليونانية لم يكن ليضير اللغات الاوربية في شيء بل لقد كان مصدر اغناء لها. وحبذا لو كنت محيطا ببعض اللغات السامية لاحكم على مدى قابلية اقتراحي للتطبيق . ولكني وطيد الامل ان يصل هذا الاقتراح الى آذان الخبراء بالساميات ليبينوا لنا مدى امكان الاستفادة منه . وعندئذ لا يقال ان لغة الضاد رديئة جدا من حيث التركيب المزجي .

واخيرا لي ماخذ على بعض الترجمات — حتى القيمة منها — وهو خلوها من ذكر المصطلحات العلمية واسماء الاعلام وعناوين الكتب في لغاتها الاصلية . فانا من حيث المبدا افضل دائما ان اقرا الكتاب في لغته الاصلية لاني لا اثق بكثير من الترجمات . فضلا عن اني اشعر بغربة كبيرة وانا اقرا كتابا مترجما الى العربية . وكثيرا ما لا افهم ما اقرا ولا عمن اقرا . فالمترجم حفظه الله كلما وجد مصطلحا علميا ترجمه بما يتراءى له او اثبت اسم صاحبه كما يريد ، وهذا من حقه . الا ان من حق القاريء عليه ان يثبت له المصطلح بلغته الاصلية وكذلك ان يثبت له اسماء الاعلام الى جانب النص العربي ، ليسهل عليه فهم الموضوع . والا ضاعت الفائدة المتوخاة من ترجمة الكتاب . فان كان القاريء خالي الذهن من الموضوع لم يفهم شيئا بطبيعة الحال ، وان كان ملما به اصطدم بمصطلحات غير واضحة المعنى فاختل فهمه للموضوع ولعن الترجمة والمترجمين .

والخلاصة ان الترجمة عمل مضن . فلا يقدم عليه من ليس اهلا له . فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .